لاشك أنّ تجربة الحج من التجارب الإنسانية الخالدة، تلهم الشعراء والأدباء، وتمنحهم من روعتها وجلالها عواطف وأحاسيس روحية عميقة، وهي على تنوعها وألوانها وأطيافها تثير أخيلة الشعراء وتمدّهم بصور حسيّة وواقعية، وتهيج في نفوسهم أرقى أنواع المشاعر الإنسانية، وتفتق أذهانهم عن معان كبيرة، ترتد إلى التاريخ الأول للدعوة الإسلامية في أول انطلاقها من الجزيرة العربية، وتعيش حاضر المسلمين المؤلم والمتردى مع الأسف، وتتطلع إلى مستقبل أرحب حين تتحقق أهداف الأمة

الإسلامية والعربية.

إنّ هذه التجربة القدسية تدعو الشعراء أن يقفوا أمام مسؤوليتهم الأدبية ورسالتهم، فيعبروا بحق عما يجيش في نفوسهم من آراء سياسية وأفكار دينية عامرة منحتهم إياها المواقف المتعددة الألوان في هذه المناسبة الدينية السامية، فلبس الإحرام له معنى التجرد من زخارف الحياة، ومناسك الحج من طواف وسعي لها في كل منسك معانيه الدينية والإنسانية؛ والوقوف بعرفات متجردون متساوون على اختلاف عروقهم ولغاتهم وألوانهم بلباس واحد يغمره البياض الناصع كالحقيقة الواضحة.

ولغنى هذه التجربة الدينية المقدسة وخصوبتها نجد كثيراً من الشعراء قد صوروا مشاعرهم فيها، ووصفوها لنا وصفًا دقيقًا وواقعيّاً.. ونأخذ من الشعراء المحدثين الذين أبدعوا قصيدة الحج أمير الشعراء أحمد شوقي في رائعته التي يقول في مطلعها:

إلى عرفات الله يا خير زائر	عليك سلام الله في عرفات
ويوم تُوَلى وجهة البيت ناضراً	وسيم مجالي البشر والقسمات
على كل أفقٍ بالحجاز ملائك	تزف تحايا الله والبركاتِ
وفي الكعبة الغراء ركن مرحب	بكعبة قصادٍ و ركن عفاة

ومـا سـكبَ الميـزاب مـاءاً وإنمـا	أفـاض عليـك الأجـر والرحمـات
وزمزم تجري بـين عينيـك أعينـاً	مـن الكـوثر المعسـول منفجـرات
ويرمون إبليس الـرجيم فيصـطلي	وشـانيك نيرانـاً مـن الجمـرات
ويا رب هل تغنى عن العبد حجـة	وفي العمر مـا فيـه مـن الهفـوات؟
وأنـت ولي العفـو فـامح بناصـع	من الصفح ما سودت من صفحاتي
إذا زرت يـا مـولاي قـبر محمـدٍ	وقبّلت مثـوى الأعظـم العطـرات
وفاضت مع الدمع العيـون مهابـة	لأحمـد بـين السـتر والحجـرات
وأشـرق نـور تحـت كـل ثنيـة	وضـاع أريـج تحـت كـل حصـاة
فقـل لرسـول الله يـاخير مرسـل	أبثـك مـا تـدري مـن الحسـرات
شعوبك في شـرق الـبلاد وغربهـا	كأصحاب كهف في عميـق سـبات
بأيمـانهم نـوران ذكـر وسـنة	فمـا بـالهم في حالـك الظلمـات؟

وفي قصيدة بعنوان: «طواف الوداع» لابن ا لأمير الصنعاني كتبـها متـأثراً بفراق بيت الله الحرام نقرأ:

وبات حجيج الله بالبيت محدقاً	ورحمة رب العرش ثمت تغشاه
تداعت رفاقا بالرحيل فما ترى	سوى دمع عين بالدماء مزجناه
لفرقة بيت الله والحجر الذي	لأجلهما صعب الأمور سلكناه
وودعت الحجاج بيت إلههـا	وكلهم تجري من الحزن عيناه
فللَّه كم باك وصاحب حسرة	يود بأن الله كان توفاه
فلو تشهد التوديع يوماً لبيته	فإن فراق البيت مر وجدناه
فما فرقة الأولاد والله إنه	أمر وأدهى ذاك شيء خبرناه
فمن لم يجرب ليس يعرف قدره	فجرب تجد تصديق ما قد ذكرناه
لقد صدعت أكبادنا وقلوبنا	لما نحن من مر الفراق شربناه
والله لولا أن نؤمل عودة	إليه لذقنا الموت حين فجعناه

وقال شاعر آخر:

وأقعدني عنك الضنى فبعثتها	شوارد شعرٍ لم ترع بضريب
أقمت وآمالي إليك مجدة	تلف شروقًا معتماً بغروب
هناالكعبة الزهراء والوحي والشذا	هنا النور فافنى في هواه وذوبي
ويا مهجتي بين الحطيم وزمزم	تركت دموعي شافعاً لذنوبي
وفي الكعبة الزهراء زينت لوعتي	وعطر أبواب السماء نحيبي
مواكب كالأمواج عج دعاؤها	ونار الضحى حمراء ذات شبوب

ورددت الصحراء شرقاً ومغرباً	صدى نغم من لوعة ورتوب
تلاقوا عليها من غنى ومعدم	ومن صبية زغب الجناح وشيب
نظائر فيها بردهم برد محرم	يضوع شذاً والقلب قلب منيب
أناخوا الذنوب المثقلات لواغباً	بأفيح ـ من عفو الإله ـ رحيب
وذل لعز الله كل مسود	ورق لخوف الله كل صليب
ويا رب في الإسلام نور ورحمة	وشوق نسيب نازح لنسيب
فألف على الإسلام دنيا تمزقت	إلى أمم مقهورة وشعوب
سجايا من الإسلام سمح حنانها	فلا شعب عن نعمائها بغريب

وهناك قصائد كثيرة وردت في الشعر العربي الحديث، وكلها قصائد رائعة، تجري على هذا النسق البديع من الشعور بالشوق واللهفة لأداء فريضة الحج وتصوير واقعي لمشاهد المناسك، السعي والطواف والموقف بعرفات ومزدلفة ومنى والبيت الحرام والكعبة الزهراء بجلالها وروعتها.. كما يقول احد الشعراء المحدثين يصف هذا الشوق وهذه المشاهد التي تتكرر كل عام، فهو في قصيدته يصور حالته الشعورية وقد فاتته فريضة الحج، وهو يرى الحجاج يتأهبون للرحيل، قاصدين بيت الله الحرام، فيأخذه الشوق والحنين، ويذرف الدموع حسرة وأسى، ويتراءى له البيت الحرام بجلاله ووقاره:

خلفـونى مـع الـدموع وراحـوا	ليتـهم مـن وداعهـم قـد أراحـوا
فجـروا في الفـؤاد نبـع حـنين	يـا بروحـى حنينـه الوضـاح
وسمـاء أسمـو إليهـا وأسمـو	وضـياء يلفـني لمـّاح
وسـحاب يقتـادني ونجـوم	وأغـانٍ علويـة وبطـاح
وتجلـى البيـت الحـرام وقـاراً	وجمـالاً أفيـاؤه والسـاح
وجلال الأستار في الكعبة الغراء	نـور مـن الهـدى ووشـاح
وبرايـا والمطهـر عريـان يمشـي	وزرتـاه إيمانـه والسـماح
يا بروحـى الإحـرام مـورد تقـوى	وتسـاوٍ وروعـة وانفتـاح
وزحـام الطـواف نفحـة حـب	وحنـان الـدعاء روح وراح
وتعـالى الصـوت الحبيـب جهـيراً	تلبيـات ترجيعهـا صـداح
واقـع تخشـع القلـوب إليـه	ومقـام العـز فيـه الصـلاح
يـا رسـول الأنـام طـال ضـياعي	في مسـيري وزلـزلتني ريـاح
وخيـالى إثـر الحجـيج شـفاني	وسـقتني بصـفوها الأقـداح
أتـراني أحظـى بسـفرة حـج	في حيـاتى أم فـاتني المصـباح

وقصيدة لشاعر امتلك كل أدوات الشعر الجيد... التي جاءت في ديوانه:

هـذي ديـار حباهـا الله منزلـة	يهفـو إليهـا إلى أفيائهـا البشـر
ربوعها السحر لا يرقى لها قلم	والسحر يدرك لا يأتي به الخبر

خذني إلى (البيت)تسعى في جوانبه	نسائم بأمان الله تنتشر
في بطن (مكة)قدسي الشعاع سرى	فما تحس سوى الأنوار تنهمر
تعال نشرب صفاء الود كوثره	هذا المعين فلا طين ولا كدر
تعالى (نسع) إلى روض تظلله	سحابه الأمن.. لا خوف ولا خطر
وفي مقام (خليل الله) موقفنا	والركعتان: جنات الكون تختصر
تبدت الكعبة الزهراء حالية	مجلوة.. فعيون القوم تنبهر

قال البوصيري:

فاق النبيين في خلق وفي خلق	ولم يدانوه في علم ولا كرم
وكلهم من رسول الله ملتمس	غرفاً من البحر أو رشفاً من الديم
فهو الذي تم معناه وصورته	ثم اصطفاه حبيبا بارئ النسم
منزه عن شريك في محاسنه	فجوهر الحسن فيه غير منقسم
دع ما ادعته النصارى في نبيهم	واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم
فانسب إلى ذاتهما شئت من شرف	وأنسب إلى قدرهما شئت من عظم
فإنّ فضل رسول الله ليس له	حد فيعرف عنه ناطق بفم
وكيف يدرك في الدنيا حقيقته	قوم نيام تسلوا منه بالحلم
فمبلغ العلم فيه أنه بشر	وأنه خير خلق الله كلهم

وكل آي أتى الرسل الكرام بها	فإنما اتصلت من نوره بهم
فإنه شمس فضل هم كواكبها	يظهرن أنوارها للناس في الظلم
يا خير من يمم العافون ساحته	سعياً وفوق متون الأينق الرسم
سريت من حرم ليلاً إلى حرم	كما سرى البدر في داج من الظلم
فظلت ترقى إلى أن نلت منزلة	من قاب قوسين لم تدرك ولم ترم
وقدمتك جميع الأنبياء بها	والرسل تقديم مخدوم على خدم
وأنت تخترق السبع الطباق بهم	في موكب كنت فيه صاحب العلم
حتى إذا لم تدع شأوا لمنسبق	من الدنو ولا مرقى لمستنم
خفضت كل مقام بالإضافة إذ	نوديت بالرفع مثل المفرد العلم

وقال الشيخ حسين بن عبد الصمد الحارثي:

محمدالمصطفىالهاديالبشيررسول	الله أفضل خلق الله كلهم
لولا هداه لكان الناس كلهم	كأحرفٍ ما لها معنىً من الكلم
ولو تفرق بعض من خلائقه	فيالناسلم يبقذوجهل ولاغرم
لو لم تطأ رجله فوق التراب لما	غداطهوراً وتسهيلاًعلىالأمم
لو لم يكن سجد البدر المنير له	ما أثرالترب في خدّيه بالوسم
فيا نجوم السما طوفوا بكعبته	سعدتم إذ له صرتم من الخدم
ولو تكلف صم فوق طاعته	سعت إليه جبال الحل والحرم

زاكي الفعال ومحمود الخصال ومبذول	النوال ومختار من القدم
نصرت بالرعب حتى كادسيفك أن	يسطو بغير انسلال في رقابهم
البدر يخبر أن النور مكتسب	فيه ونورك أصلي وذو شمم
كفاك فخراً كمالات خصصت بها	أخاك حتى دعوه بارئ النسم

شعر النجف الأشرف:

فالنجف الأشرف،[1] باعتباره مركزاً دينياً وحاضرة فقهية، كان لابدّ أن يولي الحج في حلقاته الدراسية عناية وأهمية، من حيث البحث في تشريعه وفلسفته وتتبع الأحاديث الشريفة الواردة في فضله، فضلاً عن التوغل في تحديد وظائفه ومناسكه، حكماً تعبدياً لابد للمكلف فيه من إصابة الواقع و إبراء الذمة..

والشاعر النجفي في الغالب هو جزء من هذا المركز، انخرط في صفوف حلقاته، وتبنى منهجيتها، وانطبع بآرائها، وتأثر بكل مايدور فيها من مطارحات و أفكار.

ومن هؤلاء الشعراء السيد عدنان الغريفي، وقد بدأ منظومته بقوله:

الحج والعمرة فرضان على	من استطاع في الشروط سجلا

١. مقتطفات من مقال: «الحج في الشعر النجفي» للأستاذ محمدرضا القاموسي.

قضت بـه ضـرورة الـدين الأغـر	لا ينكـر الوجـوب إلاّ مـن كفـر

ويقول الشيخ عبدالمنعم الفرطوسي في ملحمته الشهيرة:

إنّ حـج الإسـلام في كـل عـام	هـو نشـر للـدين بعـد انطـواء
وصـعيدٌ ذلاً بـه تتسـاوى	طبقـات العبيـد والأمـراء
هـو أبـواب حطـة للخطايـا	عنـد تمحـيص أعظـم الأخطـاء

وفي موضع آخر من الملحمة يقول:

وحـدود الحـج الـذي هـو فـرض	يبتـدي بـالإحرام خـير ابتـداء
يقتفيـه في المـوقفين وقـوف	وطـواف بالكعبـة الغـراء
ثمّ سـعي مـابين مـروة يـأتي	والصـفا فيـه عنـد وقـت الأداء
وسـواها في الحـج مـن واجبـات	ملحقـات تتابعـت باقتفـاء

وفي موضع ثالث يقول:

معشـر النـاس والمناسـك طـرّاً	خـير نسـك لأمّـة الحنفـاء
وهـو حـج للبيـت ثمّ اعتمـار	والصـفا ثمّ مـروة باقتفـاء
إنهـا مـن شـعائر الله حقـاً	وهـي تقـوى القلـوب للأتقيـاء

فريق من الشعراء وصفوا فصول رحلاتهم إلى بيت الله ووثقوها شعراً؛

فالشيخ محمد محي الدين ـ من شعراء القرن الثالث عشر الهجري ـ يصور لحظات وداع أصحابه له ـ وهو في طريقه إلى مكة ـ فيقول:

وأومض برق ديار الحجاز	فآنست من جانب الطور نارا
هداني سناها سواء الطريق	ضياءً فخلت الليالي نهارا
ولما نزلنا «مصلى الغري»	ونادى منادي الرحيل البدارا
ترامت جفون وأودت نفوس	وريعت قلوب فظلت حيارى
كأنّي بصحبي وقوفاً هناك	تراهم سكارى وما هم سكارى
ورامو الوداع قبيل الرحيل	ترى هل يبلُّ الوداع الأوارا
لقد أكثر الناس ذم الفراق	وعندي لذاك يدٌ لاتبارى
ولست أبالي بوقع الخطوب	إذا ماشفيع الذنوب أجارا

أرجوزة في الحج للسيد جمال الدين الهاشمي رحمه الله:

سارت على اسم الخالق المعبود	قافلة الإيمان والتوحيد
حتّى قصدنا مكّة المكرّمة	في موكب شاراته محتشمة
وحينما لاحت حدود الحرم	واستيقظت منها قلوب النوم
فبادر الركب إليه مسرعاً	وكلّ فرد فيه من شوق دعا:
«لبّيك إنّ الحمد والنعمة لك	لبّيك إنّ المجد والرحمة لك»
نخلع عن أجسامنا الثيابا	وتلمس الماهيّة النوريّة

إذ لم تـــزل لوعينـــا حجابـــا	في زيفهـا عـــن الجمـــال الـــذاتي
هـــي القشـــور أضـــحت اللبابـــا	هيـا أمِـطْ عـــن وعيـــك النقابـــا
لتظهـــــر الحقيقـــــة الخفيّـــــة	عبـد فـلا أملـك رجلـي ويـدي
تبعـــــدنا مظـــــاهر الحيـــــاة	مـــا أنـــا في الحيـــاة إلاّ بشـــر
لكـــلّ مـــا أحـــبى بـــه مفتقـــر	فكـــلّ آثـــاري إليـــه تنســـب
بل كـلّ مـا عنـدي ملـك سـيّدي	في بعثهـــا عنّـــي هـــو المســـبّب
مـــا كنـــت إلاّ عـــدماً لـــولاه	أوجـــــدني بـــــأمره الإلـــــه
شـغلني عـــن وعيهـــا التشـــاغل	بعـــــالم لذاتـــــه حبائـــــل
تصـدّني في وصـفها عـن واقعـي	وتســـتزيد نحوهـــا مطـــامعي
ربّـــاه يـــا ربّـــاه إنّنـــا بشـــر	عـن وعـي واقـع الأمـور نقتصـر
تجـــذبنا الظـــواهر المزبرجـــة	عـــن واقـــع نيرانـــه مؤجّجـــة
وحينمـــــا أيقظنـــــا الإيمـــــان	جئنـــا وكـــلّ مـــا بنـــا لســـان:
«لبّيـك لبّيـك فـلا شـريك لـك	لبّيـك لبّيـك فـلا مليـكَ لـك»
أحرمـت عـن مـا ثمـن تجـرّدا	وصرت عبـدا مـذ رأيـت السـيّدا
وهكـــذا تجـــرّد الإنســـان	لمـــا طمـــى في وعيـــه الإيمـــان...

ويقول الشاعر أحمد الوائلي حول سفره إلى بيت الله الحرام:

حملـت لبانـاتي وكـل رجـائي	إلى بابـك الحـاني علـى الفقـراء

إلى سائغ من رحمة ومصرد	من النبع غمر دافقٍ بعطاء
يفيض لمحض العطف من دون منة	ولا خوف ذم وانتظار جزاء
وأين يرجى اللطف والعدل والندى	بغير رحاب الله للنزلاء...
على الكعبة الغراء مرّت جحافل	ملبية في خشعة وبكاء
تعادل في آمالها الخوف والرجا	وزال عن العينين كلّ غشاء
قبانت لها الدنيا غروراً وباطلاً	ونتناً يغطي ريحه بغطاء
وقد تكشف الأسرار للنفس ومضة	تمرّ بها أو لحظة لصفاء
ويارب! روحي أثقلتها ذنوبها	وأرهقها حزن وطول عناء
وأنت عطاء لاحدود لفيضه	وقرب من الداعين ليس بناء
أيا ربّ حالت دون حجي حوائل	فأرسلت دمعي داعياً وندائي
وعندك ما يطفي أوار حشاشتي	ويمسح أحزاني وفرط أسائي

مازال نحكي شعر النجف الأشرف، والآن جرعة من زلال شعر النجف في مدح رسول الله صلى الله عليه وآله و أمير المؤمنين عليه السلام:

بدا بمولده المسعود طالعه	بدر الهدى واختفت فيه الأضاليل
وزال عن رأس كسرى التاج حين علا	من فوق بهرام للإيمان إكليل

بخاتم الرسل قد زلت أساوره	فعرشه بعد كرسي الملك مشلول
سبحان من خص بالإسراء رتبته	بقربه حيث لا كيف وتمثيل
بالجسم أسرى به والروح خادمه	له من الله تعظيم وتبجيل
له البراق جواد والسما طرق	مسلوكة ودليل السير جبريل
له شريعة حق للهدى وله	شريعة في الندى من دونها النيل
وجاءه الروح بالقرآن ينسخ من	شريعة الروح ما يحويه إنجيل
وكل أسفار توراة الكليم لها	من بعد إسفار صبح الذكر تعطيل
لولاه ما كان لا علم ولا عمل	ولا كتاب ولا نص وتأويل
ولا وجود ولا إنس ولا ملك	ولا حديث ولا وحي وتنزيل
له الخوارق فالعرجون في يده	مهند من سيوف الله مسلول
حروبه ومغازيه لها سير	بها يحدث جيل بعده جيل

وقال الشيخ الأزري قدس سره:

إنَّ تِلْكَ القُلُوب أقْلَقَها الوَجْدُ	وَأدْمى تَلْكَ العُيُونَ بُكاها
كانَ أنْكى الخُطُوبِ لَمْ يُبْكِ مِنِّي	مُقْلَةً لكِنَّ الهَوى أبْكاها
كُلَّ يَوْمٍ لِلْحادِثاتِ عَوادٍ	لَيْسَ يَقْوى رَضْوى عَلى مُلْتَقاها
كَيْفَ يُرْجى الخَلاصُ مِنْهُنَّ إلاّ	بِذِمامٍ مِنْ سَيِّدِ الرُّسْلِ طه
مَعْقِلُ الخائِفِينَ مِنْ كُلِّ خَوْفٍ	أوْفَرُ العُرْبِ ذِمَّةً أوْفاها

مَصْـدَرُ العِلْـمِ لَـيْسَ إلاّ لَدَيْـهِ	خَبَـرُ الكائِنـاتِ مِـنْ مُبْتَـداها
فـاضَ لِلْخَلْـقِ مِنْـهُ عِلْـمٌ وَحِلْـمٌ	أخَـذَتْ مِنْهُمـا العُقُـولُ نُهاهـا
نَوَّهَـتْ باسْـمِهِ السَّـماواتُ والأ	رْضُ كَمـا نَوَّهَـتْ بصُـبْحٍ ذُكاهـا
وَغَـدَتْ تَنْشُـرُ الفَضـائِلَ عَنْـهُ	كُـلُّ قَـوْمٍ عَلـى اخْـتِلافِ لُغاهـا
طَرِبَتْ لاسْـمِهِ الثَّـرى فَاسْـتَطالَتْ	فَـوْقَ عُلْـوِيَّـةِ السَّـماء سُـفْلاها
جـازَ مِـنْ جَـوْهَرِ التَّقْـدُّسِ ذاتـاً	تاهَـتِ الأَنْبيـاءِ فِـي مَعْناهـا
لاتُجِلْ فِـي صِفاتِ أحْمَـدَ فِكْـراً	فَهـي الصُّـورَةُ الَّتِـي لَـنْ تَراهـا
أيُّ خَلْـقٍ للهِ أعْظَـمُ مِنْـهُ	وَهُـوَ الغايَـةُ الَّتِـي اسْتَقْصـاها
قَلَّـبَ الخـافِقِيْنِ ظَهْـراً لِـبَطْنٍ	فَـرَأى ذاتَ أحْمَـدَ فَاجْتَباهـا
لَسْـتُ أنْسـى لَـهُ مَنـازِلَ قُـدْسٍ	قَـدْ بَناهـا التُّقـى فَـأعْلى بناهـا
وَرِجـالاً أعِـزَّةً فِـي بُيُـوتٍ	أذِنَ اللهُ أنْ يُعَـزَّ حِماهـا
سـادَةٌ لاتُريـدُ إلاّ رِضـىَ اللهِ	كَمـا لايُرِيـدُ إلاّ رِضـاها
خَصَّـها مِـنْ كَمالِـهِ بالمعـانِي	وَبـأعْلى أسْـمائِهِ سَـمَّاها
لَـمْ يَكُونُـوا لِلْعَـرْشِ إلاّ كُنُـوزاً	خافِيـاتٍ سُـبْحانَ مَـنْ أبْـداها
كَـمْ لَهُـمْ أَلْسُـنٌ عَـنْ اللهِ تُـنْبِي	هِـيَ أقْـلامُ حِكْمَـةٍ قَـدْ بَراهـا
وَهُمُ الأَعْـيُنُ الصَّـحِيحاتُ تَهْـدِي	كُـلَّ عَـيْنٍ مَكْفُوفَـةٍ عَيْناهـا
عُلَمـاءٌ أئِمَّـةٌ حُكَمـاءُ	يَهْتَـدِي النَّجْمُ باتِّبـاعِ هُـداها
قـادَةً عِلْمُهُـمْ وَرأيُ حِجـاهُمْ	مَسْـمَعاً كُـلِّ حِكْمَـةٍ مَنْظَراهـا

مـا أبـالِي ولَـوْ أهِيلَـتْ عَلـى الأ	رْضِ السَّماواتُ بَعْـدَ نَيْـلِ وِلاهـا

وقال قدس سره أيضاً:

ما عسى أن أقول في ذي معال	علة الكون كله إحداها
بشرت أمة به الرسل طرا	طربا باسمه فيا بشراها
تلك نفس عزت على الله قدرا	فارتضاها لنفسه واصطفاها
ما تناهت عوالم العلم إلا	والى كنه أحمد منتهاها
حاز قدسية العلوم وإن لم	يؤتها أحمد فمن يؤتاها
علم أقسمت جميع المعالي	أنه ربها الذي رباها
فاض للخلق منه علم وحلم	أخذت عنهما العقول نهاها
وسمت باسمه سفينة نوح	فاستقرت به على مجراها
وبسر سرى له في ابن عمرا	ن أطاعت تلك اليمين عصاها
وبه سخر المقابر عيسى	فأجابت نداءه موتاها
وهو سر السجود في الملأ الأعلى	ولولاه لم تعفر جباها
لم تكن هذه العناصر إلا	من هيولاه حيث كان أباها

ونقل شيخنا صاحب المستدرك في كتاب (شاخه طوبى) أنّ العلامة المحقق الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر قدس سره كان يتمنّى أن يكتب في

ديوان عمله القصيدة الهائية الأزرية، ويكتب الجـواهر في ديـوان الأزري مكان القصيدة، ولنتبرك بذكر أشعاره قدس سره حول حرب الأحزاب في المدينـة المنورة في مدح أمير المؤمنين عليه السلام في قصة عمرو بن عبدوَدّ قال:

ظهرت منه في الورى سطوات ❁ ما أتى القوم كلهم ما أتاها
يوم غصت بجيش عمرو بن وَدٍّ ❁ لهوات الفلا وضاق فضاها
وتخطى إلى المدينة فرداً ❁ لا يهاب العدى ولا يخشاها
فدعاهم وهم ألوف ولكن ❁ ينظرون الذي يشب لظاها
أين أنتم من قسور عامري ❁ تتقي الأسد بأسه في شراها
أين من نفسه تتوق إلى الجنات ❁ أو يورد الجحيم عداها
فابتدي المصطفى يحدث عما ❁ يؤجر الصابرون في أخراها
قائلاً إنّ للجليل جناناً ❁ ليس غير المجاهدين يراها
من لعمرو وقد ضمنت على الله ❁ له من جنانه أعلاها
فالتووا عن جوابه كسوام ❁ لا تراها مجيبة من دعاها
فإذا هم بفارس قرشي ❁ ترجف الأرض خيفة أن يطأها
قائلاً ما لها سواي كفيل ❁ هذه ذمة علي وفاها
ومشى يطلب البراز كما تمشي ❁ خماص الحشي إلى مرعاها
فاقتضى مشرفية فتلقى ❁ ساق عمرو بضربة فبراها
وإلى الحشر رنة السيف منه ❁ يملأ الخافقين رجع صداها

يا لها ضربة حوت مكرمات ❁ لم يزن ثقل أجرها ثقلاها
هذه من علاه إحدى المعالي❁ وعلى هذه فقس ما سواها

وقال الصفي الحلي في مدحه صلى الله عليه وآله في قصيدته البديعية:

شخص هو العالم الكلي في شرف	ونفسه الجوهر القدسي في عظم
هو النبي الذي آياته ظهرت	من قبل مظهره للناس في القدم
صلى عليه إله العرش ما طلعت	شمس وما لاح نجم في دجى الظلم
وآله أمناء الله من شهدت	لقدرهم سورة الأحزاب في العظم

...إلى غير ذلك من آثار شعراء النجف، فدواوينهم مليئة بالقصائد والأشعار؛ وفى الختام، فقد لاحظنا أن قصيدة الحج في الشعر العربي الحديث تتسم بسمات فنية وخصائص أسلوبية تميزها عن غيرها من القصائد التى كتبت في تجارب شعرية أخرى، وأهم هذه السمات شفافية التعبير، وحرارة الأداء، وجمال التصوير والتلوين.